مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(8)، العدد (2)، (ديسمبر 2023)، ص 265-276
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

الهجرات البشرية الوافدة إلى بلاد المغرب القديم وتأثيرها الحضاري في المنطقة خلال القرن الخامس للميلاد

Human migrations to the country of the ancient Maghreb and its cultural influence in the region during Fifth century AD.

طويل عماد [1]*

[1]جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 (الجزائر)touilimad429@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/07/16 تاريخ القبول: 2023/11/27

ملخص:

أدّى ضعف الإمبراطورية الرومانية إلى تقليص مساحتها وزيادة طمع الشعوب الجرمانية في السيطرة على المناطق التي كانت تهيمن عليها ومنها مقاطعة بلاد المغرب القديم، وقد تسبب هذا الضعف في هجرة عدد كبير من القبائل الجرمانية إلى بلاد المغرب القديم مع بداية القرن الخامس للميلاد بعد نجاح الحملة الوندالية في إنهاء الاحتلال الروماني. من ذلك جاءت إشكالية البحث لمعالجة تأثير الهجرات الخارجية على بلاد المغرب القديم ودورها في التحولات الحضارية التي عرفتها المنطقة، والهدف من البحث هو إعطاء الصورة الحضارية التي أصبحت عليها بلاد المغرب القديم بعد نهاية الاحتلال الروماني، فقد حاولت في ذلك الكثير من الكتابات الأجنبية إغفال الدور الحضاري للقبائل المورية في ازدهار المنطقة اقتصاديا، وأهم شيء في الموضوع هو معرفة التركيبة البشرية لبلاد المغرب القديم فترة الاحتلال الوندالي وطبيعة العلاقات الوندالية مع القبائل المورية.

كلمات مفتاحية: المور، الوندال، القبائل الجرمانية، بلاد المغرب، التأثير الحضاري

Abstract:

The weakness of the Roman Empire led to a shrinking of its area and the greed of the Germanic peoples to control the areas they dominated, including the ancient Maghreb, so that this weakness caused the migration of a large number of Germanic tribes to the ancient Maghreb with the beginning of the fifth century AD, and this was a direct reason for the end of Roman occupation and the beginning of the Vandal occupation. From that came the problem of the research to address the impact of foreign migrations on the countries of the ancient Maghreb and their role in the cultural transformations that the region experienced, and the aim of the research is to give the civilized image that the ancient Maghreb countries became upon after the end of the Roman occupation, in which many foreign writings tried to ignore the great role The Moorish tribes in the elimination of the Roman occupation and the most important thing in the subject is to know the human composition of the ancient Maghreb countries during the period of the Vandal occupation of the region.

Keywords: The Moors; the Vandals; the Germanic tribes; the countries of the Maghreb; civilizational influence.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

عرفت بلاد المغرب القديم مطلع القرن الخامس ميلادي توافد عدة قبائل من القسم الأوروبي، استقرت معظمها في الجزء الشرقي وبالتحديد في البروقنصلية وشرق نوميديا، مستغلة في ذلك الأوضاع المزرية التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية في جميع الميادين السياسية و العسكرية منها، ومن بين القبائل التي وفدت إلى المنطقة نذكر قبائل الوندال وقبائل الآلان التي تمكنت في ظرف وجيز من القضاء على السلطة الرومانية في المنطقة وتأسس دولة في بلاد المغرب عرفت بدولة الوندال في إفريقيا.

فقد استطاعت القبائل الوندالية السيطرة والتمركز في مقاطعة البروقنصلية وشرق نوميديا وعملت على وربط علاقات متينة مع القبائل المورية المحلية خاصة في عهد الملك الوندالي جنسريق، الأمر الذي أدى إلى تغيير شامل في الحياة الحضارية لبلاد المغرب القديم طيلة فترة القرن الخامس للميلاد.

انطلاقا مما سبق كانت إشكالية موضوع بحثنا تتمحور حول تأثير الهجرات الخارجية إلى بلاد المغرب القديم ودور هذه الهجرات في التحولات الحضارية التي عرفتها المنطقة، وتساؤلات فرعية عن أهم الأجناس البشرية الخارجية التي وفدت إلى بلاد المغرب، وموقف القبائل المورية من هذه الهجرات وطبيعة العلاقات التي ربطت الوندال بزعماء القبائل المورية ومدى تأثيرها في الحياة الحضارية في المناطق الشرقية من بلاد المغرب القديم.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يعالج إشكالية هامة في التاريخ القديم وهي إشكالية التنوع العرقي الثقافي في المنطقة وحقيقة التلاقح الحضاري بين التأثير والتأثر ودور القبائل الوافدة في حركية السكان المحليين وتنقلاتهم في الفترة المتأخرة من التاريخ القديم وانعكاساتها على التحولات الديموغرافية في المنطقة.

2- الهجرات البشرية الخارجية الوافدة إلى بلاد المغرب القديم: الحديث عن الهجرات الخارجية يقودنا للبحث عن أهم الأجناس البشرية (القبائل الجرمانية) التي وفدت إلى بلاد المغرب مع بداية القرن الخامس للميلاد في مقدمتها القبائل الوندالية التي نجحت في الوصول إلى المنطقة والقضاء على السلطة الرومانية بمساعدة القبائل المورية وتأسيس ما يعرف بدولة الوندال في بلاد المغرب القديم.

ويرجع أصل الوندال عند الكثير من المؤرخين إلى الأصول الإسكندنافية، ومنهم من يرجعهم إلى الأصل النرويجي (Gean-L Voisin, Najar L,2006, p280)، كانت هجرتهم في القسم الأوروبي من الشمال الموطن الأصلي لهم نحو الجنوب، ثم الغرب الأوربي ثم إلى بلاد المغرب (كانت تنقلاتهم بين

ألمانيا فرنسا اسبانيا وأخيرا إفريقيا). اعتنقوا النصرانية الأريوسية، كانوا أعداء للكاثوليكية، وقد وصفت الكثير من المصادر الوندال بالمدمرين والمخربين(Courtoisch,1955, p18).

والوندال عند أغلب المؤرخين قبيلتان هما الهاسدينكHasdingue والسيلانكSilingae ، ينتمي الجد الأول للوندال إلى الفصيلة الأولى أي إلى الهاسدينك Hasdingue، وهي أسرة حاكمة انبثقت منها الشعوب التي ستكوّن مملكة الوندال فيما بعد والتي سيكون لها الدور في تأسيس دولة الوندال في بلاد المغرب القديم (التازي س ،2006، ص165)،

قام الوندال بالعديد من الهجمات على الإمبراطورية الرومانية مستغلين الضعف الذي آلت إليه السلطة في روما ومحاولين في ذلك السيطرة على بعض الأراضي الزراعية والاستقرار فيها، الأمر الذي حتم على بالرومان إقامة معاهدات صلح مع الوندال لتفادي الهجمات المتكررة ولتحقيق الاستقرار في المنطقة، فقد استطاعت القبائل الوندالية من أن تسيطر على أراضي واسعة تضم هنغاريا (المجر حاليا) (Courtois ch . 1955, pp 31-36).

وتذكر المصادر الكلاسيكية وعلى رأسها ما ذكره المؤرخ البيزنطي بروكوب أن الوندال لم يشكلوا العنصر العرقي الوحيد الذي وفد إلى بلاد المغرب القديم مع بداية القرن الخامس للميلاد، فقد صحب الحملة الوندالية أعراقا جرمانية أخرى غير الوندال نذكر منهم: قبائل السويف وقبائل القوط وقبائل الآلان (Procope, B. V, I, 5) كان لها الدور الكبير في إنجاح الحملة التي قام بها القائد الوندالي جنسريق وما يدل على ذلك حصولهم على العديد من الأراضي الصالحة للزراعة في البروقنصلية بعد تأسيس دولة الوندال.

وقد أصبحت بلاد المغرب القديم في القرن الخامس ميلادي خليطا بين أجناس متعددة - (Lancel S ,1964,p141) تعايشت كل منها في منطقة محددة ، حيث نجد العنصر المحلي موزع في كامل مناطق المغرب القديم (Corripe, Joh, II, V, 28)، والعنصر الجرماني الذي تمركز في المنطقة الشرقية من بلاد المغرب وبالتحديد في البروقنصلية وشرق نوميديا (Procope, B.V , I ,5) ، والعنصر الروماني و المترومن أو الأفروروماني (كما يسميه البعض من المؤرخين) الذي كان يعيش في المدن الشرقية التي سيطر عليها الوندال أو في المناطق التي كانت تسيطر عليها روما قبل سقوطها أو ربما داخل المدن و الأرياف التي سيطرت عليها القبائل المورية أين حافظ على تركيبته الاجتماعية وثقافته اللاتينية وقد عملت هذه الفئة في الإدارة الوندالية وبقوانين رومانية قديمة تحت سلطة الوندال(Chalon M, 1985, pp207-262).

3- **أسباب هجرات القبائل الجرمانية (البارباربة) إلى بلاد المغرب القديم:** تعددت أسباب الهجرات الجرمانية إلى بلاد المغرب القديم منها ما هو خاص بالظروف التي كانت تعيشها أوربا وصراعات القبائل البارباربة فيما بينها أو مع الإمبراطورية الرومانية، ومنها ما هو خاص بالظروف التي كانت تعيشها بلاد المغرب، والأوضاع المتردية التي آلت إليها السلطة الرومانية، والصراعات

الداخلية والحروب ضد القبائل المورية، ويمكن حصر أسباب الهجرات البشرية البربارية إلى بلاد المغرب خلال القرن الخامس للميلاد فيما يلي:

- الدافع الاقتصادي كان وراء الهجرات الوندالية إلى بلاد المغرب، حيث عرفت المنطقة بثرائها وغناها بالمنتجات الفلاحية المتنوعة، خاصة القمح و الزيتون عكس الأوضاع المتردية التي كانت تعاني منها اروبا ، ويظهر ذلك من خلال تحركات الوندال في بلاد المغرب القديم من الغرب إلى الشرق و التمركز في المناطق الغنية بالثروة الفلاحية وفي المناطق الأكثر تطورا في الجانب الحضاري (Bertier A, 1951, p134) ، فرغم الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي كانت تعاني منها مختلف المقاطعات الرومانية في أوربا وآسيا إلا أن مقاطعة إفريقيا الرومانية كانت لا تزال تحافظ على ازدهارها وتطورها الاقتصادي الأمر الذي زاد في رغبة الوندال في السيطرة عليها وعلى خيراتها التي كانت محل أطماع العديد من شعوب المتوسط .

- رغبة الوندال في السيطرة على ممتلكات الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم، والسعي للوصول إلى إفريقيا والسيطرة عليها قبل أن تصل إليها قبائل القوط التي كانت هي الأخرى لها نية التوسع والسيطرة على بلاد المغرب بعد الضعف الذي دب في الإمبراطورية الرومانية وعجزها عن الدفاع عن الأراضي التي سيطرت عليها (Courtois ch, 1955, p9).

- الصراعات المورية الرومانية المتزايدة في بلاد المغرب القديم أدت إلى ضعف الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذي سهل على الوندال الانتقال إلى المنطقة والسيطرة على جزء منها ما يدل على ذلك تراجع كبير في خط الليمس الروماني أواخر القرن الرابع للميلاد واسترجاع الكثير من القبائل المورية لأراضيها خاصة في الجزء الغربي والجنوبي لنوميديا.

- الصراع الوندالي مع القوط في شبه الجزيرة الأيبيرية حتم على الوندال البحث عن منطقة تكون أكثر أمنا واستقرارا حتى تتمكن من إقامة دولة وندالية بعيدة عن الصراعات المتكررة مع القبائل البربارية الأخرى، فكانت بلاد المغرب المنطقة المناسبة لذلك وقد جسد ذلك القائد الوندالي جنسريق بعد أن عقد عدة تحالفات مع زعماء القبائل المورية (Yanoski J, 1942, p5).

- التقارب المذهبي بين الدوناتيون والوندال فتح الباب أمام الوندال لربط علاقات مشتركة بينهما تهدف إلى القضاء على المذهب الكاثوليكي و السلطة الرومانية في بلاد المغرب القديم، فقد لعب الدوناتيون دورا كبيرا في إنجاح الحملة الوندالية والقضاء على السلطة الرومانية وما يؤكد ذلك هو عدم تعرض السلطة الوندالية للدوناتيون في ممارساتهم لشعائرهم الدينية عكس الاضطهاد الكبير الذي تعرض له الكاثوليك بعد قيام دولة الوندال .

- تمرد الكونت بونيفاس على الإمبراطورية الرومانية ساعد كثيرا الوندال في التحالف مع هذا الأخير للوصول إلى المنطقة دون صراع وحروب قد تحول دون وصول الوندال إلى بلاد المغرب،

ويظهر ذلك في التحالف الذي كان قبل الحملة بين القائد الوندالي جنسريق والكونت بونيفاص واتفاق الطرفين على إنهاء السيطرة الرومانية وتقسيم المنطقة بينهما (شارل اندري جوليان، 1985، ص325).

4- القبائل المورية وموقفها من القبائل الوافدة إلى المنطقة:

مع وصول القبائل الوندالية إلى بلاد المغرب وسقوط الهيمنة الرومانية بها ظهرت العديد من القبائل المورية، ساعدت الوندال في تنقلهم من الغرب إلى الشرق وحاربت الاحتلال الروماني إلى جانب الوندال، وربطت معهم علاقات سلمية استمرت طيلة فترة حكم الملك الوندالي جنسريق ، وتوطدت العلاقات أكثر بين الوندال والقبائل المورية حتى أصبح الملك الوندالي يعتمد عليهم كثيرا في حملات القرصنة التي كان يقوم بها في المتوسط وعلى الإمبراطورية الرومانية حيث كانت هذه القبائل في الصفوف الأولى في عمليات القرصنة (طويل ع، 2019، ص177).

وقد ذكرت لنا المصادر مجموعة من القبائل منتشرة في كامل بلاد المغرب منها من كانت مستقر في الأقاليم الشرقية من بلاد المغرب نذكر منها مملكة الحضنة،مملكة الاوراس،قبائل النمامشة، مملكة الفراكسيس، القبائل الطرابلسية ، ومنها من كانت مستقرة في الأقاليم الغربية ومنها مملكة ألتافا، قبائل الجدار، قبائل الونشريس ، وقد ذكرت المصادر أن علاقتها بدولة الوندال كانت سلمية طيلة فترة الملك جنسريق، وقد تغيرت في عهد خلفاءه بسبب السياسة التوسعية التي انتهجوها ضد قبائل نوميديا الاوراس وطرابلس (Courtois Ch., 1955, p334).

والباحث في العلاقات المورية الوندالية يلاحظ أنها كانت على مرحلتين الأولى في عهد الملك جنسريق والمرحلة الثانية في عهد خلفائه ، حيث كان لهذه العلاقات السلمية دورا كبيرا في تنقل واستقرار القبائل المورية في المناطق الشرقية من نوميديا وانتقال القبائل الصحراوية للاستقرار في المناطق الشمالية والشرقية بعد الاستقرار الذي شهدته المنطقة والازدهار الاقتصادي الذي وصلت إليه مختلف المقاطعات بعد التخلص من السيطرة الرومانية والتخلص من الأعباء الكبيرة للضرائب التي كانت تثقل كاهل مختلف شرائح المجتمع المغاربي القديم طيلة فترة الاحتلال الروماني للمنطقة(Ingleberf H.2009 p59.).

5- تأثير الهجرات الخارجية على الحياة الحضارية في بلاد المغرب القديم:

5-1 الجانب الاقتصادي : أدى الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم إلى إحداث تطورات كبيرة في الحياة الاقتصادية في المنطقة، فقد انتقلت ملكية الأراضي من السلطة والشعب الروماني ومن القبائل المورية الخاضعة للاحتلال الروماني إلى الاستقلال الكامل للمالك المورية والسيطرة على الأراضي الزراعية، والجزء الآخر تم السيطرة عليه من طرف القبائل الوندالية، والجزء الباقي كان

في يد الطبقة المالكة الرومانية و المترومنة التي لم تغادر بلاد المغرب بعد سقوط السلطة الرومانية والمتمثلة في كبار ملاك الأراضي (Mercier e, 1888, p147).

وقد أدى الاحتلال الوندالي للمناطق الشرقية من بلاد المغرب القديم إلى نزوح عدد كبير من السكان المحليين والمترومنين نحو المناطق الغربية والجنوبية تاركين أراضيهم للقبائل الوندالية، ومنهم من بقوا يسيطرون على الأراضي في الشرق (في البروقنصلية) مقابل دفع الضرائب للسلطة الوندالية الحاكم الجديد للمنطقة (De Mougeot e, 1956.P152).

في حين نجد الكثير من الأراضي في نوميديا تم السيطرة عليها من طرف السكان المحليين (القبائل المورية) بعد القضاء على السلطة الرومانية في المنطقة، وقد كانت الكثير من القبائل والممالك المورية في هذه الفترة مستقلة في تسييرها وإدارتها بعيدا عن السلطة الوندالية التي تركز حكما وسيطرتها على أراضي البروقنصلية دون غيرها من المناطق الأخرى.

ما يؤكد ذلك هو إن القديس أوغسطين ذكر في اعترافاته امتلاك السكان المحليين في الشرق النوميدي لأراضي شاسعة، فيقول في ذلك: " كان والدي مواطنا متواضعا يسكن إقليم تاغست thagaste (سوق هراس حاليا) وقد كان يقوم بزراعة أشجار الكروم في أملاكه الواقعة بالقرب من هذه المدينة " (Victor de vita, T.III, 1).

هذا ولم تأثر الهجرات الوندالية إلى بلاد المغرب على الحياة الاقتصادية كثيرا، فقد حافظت المنطقة على ثراءها الاقتصادي وغناها بالمنتجات الفلاحية، فهي بذلك قد حققت الاكتفاء الذاتي وهو ما يؤكده بروكوب(Procope, B.V, II, 3.26) في كتاباته حيث يذكر بأن بلاد المغرب لم تكن بحاجة لاستيراد المواد الغذائية من الخارج حيث كانت زراعة الحبوب تغطي كل السهول وأشجار الزيتون والتين و اللوز ...الخ ، كما ذكر كوريب(Corripe, Joh, II, 152) إنتاج محصولين في السنة لبعض المنتجات الفلاحية الأمر الذي يؤكد الإزهار والثراء الاقتصادي في هذه الفترة .

ويمكن القول أن الثراء الاقتصادي في بلاد المغرب القديم في القرن الخامس للميلاد لم يتغير وحافظت المنطقة على ثرائها الفلاحي، والشيء الذي تغير هو طبيعة الحكم في المنطقة فقد خرجت المنطقة من سيطرة الرومان ودخلت في علاقات جديدة مع قبائل جديدة وفدت إليها وكانت سببا مباشرا في انهاء السيطرة الرومانية، وهي الفترة التي أصبحت فيها القبائل المورية مستقلة في حكمها وأراضيها (Courtois ch, op-cit, p316).

2-5 الجانب الاجتماعي: مع بداية القرن الخامس ميلادي عرفت منطقة بلاد المغرب القديم تحولا اجتماعيا كبيرا نتيجة الهجرات البشرية الوافدة إليها، حيث كان لهذه الهجرات الخارجية دورا

محوريا في إحداث هجرات داخلية بين أقاليم الشرق والغرب والجنوب والشمال جاءت بعد إنهاء الاحتلال الروماني للمنطقة وسيطرة القبائل الوندالية على جزء منها، كما أدى ذلك إلى زيادة تحركات القبائل المورية للسيطرة واسترجاع الأقاليم التي كانت تقطن فيها قبل التوسع الروماني.

هذا ولم تتغير التركيبة الاجتماعية للمجتمع المغاربي القديم في القرن الخامس للميلاد بوصول القبائل الجرمانية إلى المنطقة، وذلك بسبب امتناع كل طرف الموري والجرماني من الامتزاج بالطرف الأخر عن طريق المصاهرة، وبقيت علاقة القبائل المورية بالقبائل الجرمانية علاقة تحالف وتعايش دون محاولة أي طرف إخضاع الطرف الأخر وهو ما نلاحظه طيلة فترة حكم الملك الوندالي جنسريقChastagnol)A1942, p280( ).

حتى لو افترضنا وجود علاقات تزاوج ومصاهرة بين القبائل الوندالية والقبائل المورية فإننا نجدها في مناطق منعزلة وحالات قليلة جدا وهو ما أكده كريستيان كورتوا في كتاباته فقد ذكر لنا عقد قران بين رجل وندالي وفتاة مورية تدعى ديونيسيا Dionysia التي أنجبت له ابنا يدعى مايريكوس Maioricus ، وهي حالة من الحالات القليلة التي ذكرتها المصادر الأمر الذي لا ينفي وجود علاقات مصاهرة واندماج بين المور والجرمان وهو ما يعكس العلاقات السلمية التي كانت بين الطرفين طيلة فترة حكم الملك الوندالي جنسريق .

وفيما يخص الفئة الأخرى الرومانية أو المترومنة فقد واصلت الحفاظ على حياتها اللاتينية الرومانية بعد سقوط النظام الروماني في بلاد المغرب، وتعايشت مع السلطة الحاكمة الجديدة بدفع الضرائب والاعتراف بسلطة الوندال، وهذا ما نلاحظه عند كبار الملاك الذين لم يغادروا بلاد المغرب و لا المناطق التي سيطرت عليها القبائل الوندالية ولم يتأثروا بالثقافة و الحضارة الجرمانية طيلة فترة الاحتلال الوندالي(Courtois ch,.1955.p297).

3-5 الجانب السياسي: تغيرت الخريطة السياسية لبلاد المغرب القديم مع بداية القرن الخامس للميلاد بوصول القبائل الجرمانية مع الحملة الوندالية إلى المنطقة، فقد ظهرت العديد من القبائل المورية في كامل مناطق المغرب القديم بعد سقوط النظام الروماني والتي لم تكن معروفة في المصادر التاريخية الأمر الذي يطرح فكرة المقاومة المستمرة للسكان المحليين للهيمنة الرومانية طيلة الاحتلال الروماني (Courtois ch,.1955.p334).

فقد برزت العديد من القبائل المورية ولعبت الدور الكبير منذ وصول الوندال إلى بلاد المغرب القديم حيث رافقت هذه القبائل الحملة من الغرب إلى الشرق، و أعطت القبائل الجرمانية للقبائل المورية الدافع والحماس للقضاء على الاحتلال الروماني و التخلص من الهيمنة والضرائب التي أثقلت كاهل السكان المحليين (Hédi S et Autres,2006,p378).

كما كان للحملة الوندالية على بلاد المغرب الدور الكبير في تنقل القبائل المورية من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق خاصة بعد القضاء على السلطة الرومانية، فقد أحدث سقوط روما في بلاد المغرب تغييرا كبيرا في حركية وتنقل السكان التي كانت تسعى دائما إلى الاستقلال واسترجاع أراضيها التي سلبت منها بسبب السياسة التوسعية ومصادرة الاراضي التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية طيلة فترة الاحتلال الروماني للمنطقة.

كما لعبت للعلاقات المورية الوندالية دورا كبيرا في حركية القبائل المورية خاصة بعد حملات الاضطهاد التي مارسها الوندال ضد رجال الدين الكاثوليك في عهد الملك جنسريق وابنه هنريك، خاصة في الإقليم الشرقي من نوميديا، كما كان للتوسعات الوندالية على المناطق الشرقية لنوميديا بعد جنسريق دور كبير في حركية السكان باتجاه الغرب والجنوب (Courtois .1955.p336 .(ch,

4-5 الجانب الديني : تحدث فيكتور دي فيتا عن الاضطهادات الكبيرة التي تعرض لها رجال الدين الكاثوليك في بلاد المغرب طيلة فترة الملكين الونداليين جنسريق و ابنه هنريك(Albertini E, Marcus G, 1937,p120) ، وهو ما يقودنا إلى قبول فكرة الهجرات البشرية الكبيرة التي كانت من البروقنصلية والمزاق وهي الأقاليم التي سيطر عليها الوندالي إلى الشرق و الجنوب هروبا من سياسة الاضطهاد التي مست رجال الدين والمسيحيين بشكل عام في هذه الفترة ، حيث كانت الأوضاع السياسية و الاضطرابات الدينية وراء الهجرات التعسفية الجماعية لمختلف شرائح المجتمع المغاربي القديم باتجاه الغرب أو الجنوب بعيدا عن مراكز حكم السلطة الوندالية التي باشرت سياستها التوسعية مع نجاح الحملة وضد كبار الملاك للأراضي .

وقد حتمت سياسة الوندال الدينية القائمة على الاضطهاد ونفي رجال الدين ومصادرة الأراضي الزراعية الصالحة من السكان وتوزيعها على القبائل الوندالية (Diehl ch ch, 1896,p10) مع بداية الاحتلال على الكثير من القبائل المورية أو المترومنة الهجرة و الانتقال إلى مناطق أكثر أمنا واستقرارا من المناطق المجاورة للأراضي الوندالية، فكانت المناطق الغربية والجنوبية ملاذا لكثير من تلك القبائل والسكان هروبا من سياسة النفي و البطش التي مارسها الوندال(Marcus L, 1938, p217).

فسيفساء تظهر فارس وندالي وبجانبه قصر وجدت بقرطاج تعود للقرن الخامس ميلادي

الحبيب بولعراس، تاريخ تونس ، المرجع السابق، ص182.

6- المغرب القديم بعد الهجرات البشرية التي عرفتها المنطقة في القرن الخامس للميلاد

أحدثت الهجرات الوندالية إلى بلاد المغرب القديم تغييرا شاملا على الخريطة السياسية للمنطقة، حيث كانت هذه الهجرات سببا مباشرا لزوال النظام الروماني قديم في المنطقة بعد أن عمر عن ما يزيد عن ستة قرون ذاقت خلالها المنطقة وسكانها ظلما وتعسفا كبيرا، سعى إلى إلغاء العرق الحضاري للقبائل النوميدية المورية التي تصدت لمحاولة الطمس الحضاري ورومنة بلاد المغرب وسكانها.

كما عرفت بلاد المغرب القديم مع بداية القرن الخامس للميلاد انتعاشا اقتصاديا واستقلالا سياسيا بعيدا عن السيطرة الرومانية وسياستها القائمة على فرض الضرائب والتهجير الجماعي للقبائل المحلية، فقد استرجعت هذه الأخيرة حياتها وكيانها وأراضيها التي سلبت منها لمدة زمنية طويلة من الزمن وأصبحت الكثير من القبائل المورية في استقلال تام في الأراضي والسلطة والحكم بعيدا عن التبعية والانقياد الذي كانت تعاني منه فترة الاحتلال الروماني فقد أصبحت في هذه الفترة مستقلة تماما عن اي تهديد خارجي(طويل،2019،ص123) .

كما كان للحملة الوندالية على بلاد المغرب الأثر الكبير في بروز القبائل المورية التي استعادت هيمنتها وقوتها على المناطق التي سلبتها منها الإدارة الرومانية، فقد ظهرت مع بداية القرن

الخامس في شكل قبائل متحالفة قوية حافظت على نظامها الحضاري القائم على النظام القبلي ولم تقبل الرضوخ والانقياد الذي كثيرا ما سعت الإمبراطورية الرومانية تطبيقه على القبائل الخاضعة داخل المناطق التي سيطرت عليها.

كما يمثل القرن الخامس للميلاد المحطة الحقيقية لاستقلال بلاد المغرب القديم ولحرية القبائل المحلية والذي يمثل بداية بناء كيان محلي متين بدءا بزوال الاحتلال الروماني الذي حال دون توحيد بلاد المغرب وسكانها والذي كاد أن يقضي على الثقافة والعرق المحلي، لولا أصالة ودفاع القبائل الداخلية والصحراوية التي حافظت على الحياة الحضارية بعيدا عن كل الإغراءات والمساومات الرومانية التي كثيرا ما حاولت تجسيدها من خلال سياسة التفرقة والاستمالة التي كانت تمارسها بين زعماء القبائل المورية (طويل ،2019، ص141).

كما أدت الهجرات الجرمانية إلى بلاد المغرب القديم إلى زيادة تنوع العرق البشري الذي استقر في المنطقة والذي كون خليطا من الحضارات والديانات لعبت دورا كبيرا في صقل شخصية ومكانة الفرد المغربي القديم بين الأمم القديمة بدءا من العرق الفينيقي السامي إلى العرق الروماني واللاتيني الى العرق الجرماني ...الخ.

كما كانت بلاد المغرب مسرحا لصراع المذاهب الدينية المسيحية في المنطقة بعد دخول المذهب الأريوسي من طرف القبائل الوندالية والذي كان في صراع متسمر مع المذهب الكاثوليكي الروماني والمذهب الدوناتي، هذا الأخير الذي لعب دورا كبيرا في حشد مختلف شرائح المجتمع المووري للوقوف مع الوندال في حملتهم على الرومان فقد أضحت بلاد المغرب الملاذ الآمن لكل العناصر البشرية التي عاشت الاضطهاد والقهر في مختلف مناطق البحر المتوسط (Bertier A, 1951 ,p136) .

7- خاتمة: ما يمكن استخلاصه في البحث:

- من أهم الأحداث التاريخية التي عرفتها منطقة بلاد المغرب القديم مع مطلع القرن الخامس للميلاد، هجرة القبائل الوندالية إليها في شكل حملة على المنطقة، وهي قبائل تعود أصولها حسب المختصين إلى المنطقة الإسكندنافية والنرويج أي إلى القسم الشمالي من أوربا حاليا، وقد ضمت هذه الهجرات أكثر من جنس جرماني، فقد شكل الحملة الوندالية أجناس مختلفة جنس الهاسدينغ و السيلانغ والألان، تلته فيما بعد هجرات أخرى من قبائل السويف و قبائل القوط الشرقيين خاصة في عهد الملك الوندالي جنسريق، الأمر الذي ساهم كثيرا في تزايد عدد السكان وتغيير في الحياة السياسية و الدينية .

- أدت الهجرات الجرمانية إلى بلاد المغرب مطلع القرن الخامس إلى إحداث تغيرات كبيرة في التركيبة السكانية للمنطقة، والى ظهور هجرات داخلية كبيرة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب بعد

سقوط السلطة الرومانية، والتي أدت بدورها إلى ظهور كيانات وقبائل جديدة في كامل مناطق المغرب القديم رسمت خريطة سياسية جديدة وقوى كبيرة في كامل مناطق المغرب القديم عرفت عند المؤرخين بالممالك المورية.

- كان للعامل الاقتصادي دورا كبيرا في الهجرات الخارجة إلى بلاد المغرب وفي الهجرات الداخلية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، إلى جانب العامل الديني الذي كان له هو الآخر الدور الكبيرة في الهجرات الداخلية وفي تنظيم الحياة الاجتماعية في المنطقة، كما أدت هذه الهجرات إلى بروز دور القبائل المورية في المنطقة وذلك من خلال المساهمة الكبيرة إلى جانب الوندال في القضاء على الاحتلال الروماني وذلك من خلال مرافقة الحملة والجيش الوندالي منذ وصوله إلى المنطقة والى غاية القضاء على السلطة الرومانية سنة 429م.

- أثّرت الهجرات البشرية الوافدة إلى بلاد المغرب كثيرا في المنطقة في جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية، وذلك من خلال الازدهار الاقتصادي الذي أصبحت تعيشه بلاد المغرب في هذه المرحلة والتطور الاجتماعي والاستقلال عن الهيمنة الرومانية وممارسة الحريات الدينية دون قيود.

- أصبح لبلاد المغرب القديم تنظيم سياسي جديد بأسس ومعايير جديدة، وممالك مستقلة متعايشة مع القبائل الجرمانية، بعيدا عن الهيمنة والسيطرة الرومانية الأمر الذي كان له الأثر الكبير في الحركية السكانية الكبيرة بين الشرق والغرب الشمال والجنوب، والتي ساعدت على تشكيل مجتمع مغاربي جديد يختلف عن المجتمع الذي كان موجودا فترة الاحتلال الروماني.

قائمة المراجع

أولا المراجع العربية

1. التازي س.م ، 2006م ، الإلمام بخلاصة تاريخ ارض المغارب ، دار الرباط، الرباط .
2. شارل أندري ج، 1985م ، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر محمد مزالي، ج ، 1تونس.
3. طويل ع، 2019م ، المور والتحولات السياسية والعسكرية في بلاد المغرب القديم ، أطروحة دكتوراه، الجزائر.

ثانيا المراجع الاجنبية

1. Albertini E ; 1937,Marcus g, l’Afrique du nord française dans l’histoire, éd arhat, lyon, paris.
2. Bertier A, 1951 , l’Algérie et son passé, éd j- picard, paris.
3. Chalon M ,1985, une célébration de l’évergétisme des rois vandales dans l’anthologie latine, ant afr, t21.

4. Castagnol A,1967, les gouverneurs de byzacens et tripolitaine in antiquité africaines, T I.
5. Corippe, La Johannide, II, trad. J.Alix, Rev. tun, T7, Tunis, 1900.
6. Courtois Ch, 1955, Les Vandales et L'Afrique, éd. Arts métiers graphique, Paris.
7. De mougeot E, 1956.la fin de l'empire romain en occident et les royaumes barbares, histoire universelle, t1, vol3, éd. Gallimard, paris.
8. Diehl ch, histoire de la domination en Afrique, paris, 1896.
9. Gean-Louis voisin, Laila Najar, , 2006,.l'Afrique romaine 69-439 ,éd Atland, paris.
10. Hédi Slim et autres, 2006 ,histoire générale de la Tunisie, T.I, sud édition, Tunis.
11. Hervé Ingleberf, 2009, Atlas de Rome et des barbares, éd autrement, paris.
12. Lancel S, 1964 , originalité de la province ecclésiastique et byzacen au 4eme et 5 eme siècle dans CT.XII ,
13. Marcus L, 1938 , histoire des vandale depuis leur apparition jusqu'à la destruction de leur empire , 2eme éd ,paris.
14. Mercier E, 1888.histoire de l'Afrique septentrionale, t 1, vol 3, éd leroux, paris.
15. Procope de Césare, 1990 , la guerre contre les vandales, II, traduit et commenté par Denis roques, les belles lettres .
16. Victor de Vita, 2002 , histoire de la persécution vandale en Afrique, trad.serge Lancel, les belles lettres, paris,
17. Yanoski MJ, 1942 , l'Afrique chrétienne et domination des vandales en afrique , t1 , éd Jacoba.